كلية الآداب
قسم الفلسفة

فلسفة إبراهيم الكورانى الروحية

رسالة مقدمة من

الباحثة/ مديحة حمدى عبد العال مرسى

لنيل درجة الماجستير فى الآداب
تخصص (فلسفة إسلامية وتصوف)

تحـــت إشـــراف

الأستاذ الدكتور/ *أحمد محمود الجزار*

أستاذ التصوف الإسلامى ـ قسم الفلسفة

وعميد كلية الآداب - جامعة المنيا

دكتورة/ *فاطمة فؤاد عبد الحميد*

أستاذ التصوف الإسلامى المساعد

قسم الفلسفة – كلية الآداب - جامعة أسيوط

كلية الآداب ـ جامعة أسيوط

٢٠٠٦

بناءاً على ما تقدم فى هذه الدراسة لفلسفة الكورانى الروحية ، تبين للباحث أن النزعة الروحية والفلسفية للكورانى تكونت لديه نتيجة التأثر بعدة مصادر مختلفة هى:أولاً : تمسكه الشديد بالكتاب والسُنَّة ، ثانياً : تأثره الشديد بالسلف الصالح وأهل الطريق من المتصوفة ، حتى أنه كان دائماً يلقبهم بالأكابر ، أهل التحقيق والكشف ، أهل الطريق ، قدس الله أسرارهم.ثالثاً : تأثره الشديد والعميق بمدرسة إبن عربى وعلى رأسهم إبن عربى نفسه والذى اعترف الكورانى به كأستاذ له اعترافاً مباشراً فى كثير من مؤلفاته.

ونتيجة لهذه المصادر المختلفة التى أثرت فى فلسفة الكورانى الروحية حاول أن يتعمق فى رؤيته الروحية وأن يؤغل فى باطن المصطلح الصوفى فى العديد من قضايا التصوف التى عرضنا لها. فقد قامت فلسفته الروحية على دراسة وتحليل موضوعين رئيسيين هما الوجود والمعرفة موضحاً بآرائه مسألة التجليات الإلهية على المستويين: الوجودى ، والمعرفى. فالتجلى لديه من حيث هو مظهر خاص للذات فيتصل بطبيعة الوجود ، ومن حيث هو مجلى معين للروح فيتصل بطبيعة المعرفة.

وقد حاول الكورانى فى تصوره للوجود أن يبرز فكرة الألوهية ووضعها فى نطاق خاص من حيث كمالها المطلق ومن حيث هى موضوع للإيمان والمعرفة. ولقد حاول فى تفسيره لها أن يمزج ثقافته الدينية والروحية بالناحية الفلسفية والتى كونها الكورانى من خلال دراسته وتلمذته على أيدى العديد من متصوفة وحدة الوجود أمثال إبن عربى وابن سودكين وصدر الدين القونوى وعبد الرحمن الجامى والذى حاول أن يؤصل أفكاره وآرائه الخاصة من خلال تبنى وتأييد آرائهم.

ولقد حاول الكورانى أن يحلل ويشرح فكرة هامة وغامضة فى نفس الوقت قد تركها إبن عربى فى مذهبه بشكل مبهم ، عرضها الكورانى وحللها بشكل مفصل جداً؛ إلا وهى مسألة إتصاف الحق بصفة الموجود المطلق بالإطلاق الحقيقى ، الذى يتجلى فيما شاء من مظاهر التجلى ، هذه الفكرة ودلالتها أوردها الكورانى فى حديثٍ مطولٍ سبق أن أوضحناه فى موضعه. فلقد اقتضت حكمته سبحانه أن يتجلى بالإطلاق فيما شاء من المقيدات بأسمائه وصفاته متى شاء وكيف شاء. وذلك لدى الكورانى لا يتعارض مع التنزيه المطلق للحق سبحانه. ولذلك إستوجب علىنفسه إجراء مقارنة بين المطلق والمقيد ، ليمنع عن نفسه الشبهات التى أثيرت حول مذهب

وحدة الوجود. كما حاول الكورانى بما لديه من أدلة أن يثبت أن الأشعرى أقر بنفس آرائه ، ليدعم بذلك مقاصده كما سبق أن أوضحناه فى موضعه من الدراسة.

أما تصور الكورانى لمرحلة الفيض الأقدس فقد كانت من الأهمية بمكان بحيث جعلها الكورانى محور إهتمامه فى تفسيره لوجود العالم ، حتى أنه قد أغفل بسببها الحديث عن مرحلة الفيض المقدس كما أوضحنا سابقاً .

كما أن الكورانى استخدم مصطلح (الفيض) بشكل محدود للغاية ، ليؤكد أنه لا يجارى أى مذهب يونانى أو فلسفى ، ولكنه استخدم مصطلح (التجلى) بشكل واسع جداً لدلالات روحية تؤكد على تأصيل هذه الفكرة لديه ولكن بمنظور روحى وصوفى حاول أن يفلسفه كما سبق أن أوضحناه. كما كان الكورانى فى تفسيره للعالم يحذو حذو إبن عربى وعلى الأخص فى نظريته عن الأعيان الثابتة ، لتى أكد الكورانى أنها باقية على ثبوتها الأزلى لا تخرج للوجود أبداً . فلا ظهور إلا للوجود ولكن بأحكام الأسماء الإلهية وهذا لدى الكورانى لا يتعارض مع التنزيه المطلق للحق ولا مع الإبداع المطلق أيضاً كما أوضحنا فى موضعه من الدراسة.

كما ظهرت نزعة الكورانى الفلسفية من خلال تبنيه لآراء كثير من الفلاسفة أمثال ابن سينا وأفلاطون وأرسطو. وكذلك فى استخدامه لكثير من المصطلحات الفلسفية فى تفسيره لوجود العالم مثل (الماهية ، الفيض ، الصدور ، الإيجاد ، الشئون ، أزل ، أبد ، واجب ، ممتنع ، ممكن ، شئ ، إبداع ، تصور ، كثرة ...الخ) وغير ذلك مما ورد فى مواضع متفرقة من البحث ، وذلك إن دل على شئ فإنما يدل على ثقافته الواسعة ، ونزعته الفلسفية العميقة إلى جانب النزعة الروحية والصوفية الرئيسية فى جميع مصنفاته.

أما عن الإنسان عند الكورانى فهو أكمل المجالى الإلهية ؛ فالإنسان مخلوق على الصورة الإلهية وفى ذلك تكمن مكانته الوجودية العالية على غيره من المخلوقات. فالعالم هو المرآة ، لكنه بدون الإنسان مرآة غير مجلوه ، ولا يجلوها إلا وجود الإنسان. فالإنسان بالنسبة للعالم بمثابة الروح بالنسبة للجسد ؛ ولذلك اكتمل العالم بهذه المكانة الوجودية العالية للإنسان ، فهو مخلوق على الصورة الإلهية من ناحية وكذلك لتبعيته للحقيقة المحمدية التى تسرى بقدر الله فى جميع أرواح الأنبياء والبشر كلهم من ناحية أخرى. علماً بأن الكورانى أقر بأهمية إثبات قدم نبوته (ρ) وآدم بين الروح والجسد ، بوصفها أول تعين للتجلى الإلهى ومنه تفصلت أرواح جميع

الكائنات ؛ ذلك ليؤكد على عظم التكريم للإنسان والتى تكمن فى حيثيه مقارنته بغيره من المخلوقات؛ فهو أكملها وجودياً ، فهو المخلوق الذى له مرتبة الإنسان الكامل والتى كما أكد الكورانى لا تخص شخصاً بعينه مهما بلغت مرتبته ودرجته الكمالية. فالوجود الإنسانى بفضل كرم الحق عليه ، يستحق هذه المكانة العليا والمرتبة الوجودية الكبرى ، فذلك الكمال الوجودى الذى خلقه الحق بالفطرة فى الإنسان يؤهله تلقائياً لأن يحصل بمجاهدته الكمال المعرفى. فالإنسان مخلوق ليشهد الألوهية وليتحقق بالكمالين الوجودى والمعرفى.

وأما عن الكمال المعرفى لدى الكورانى فإنه لا يتحقق إلا إذا كان موضوع المعرفة هو الذات العليه بأسمائها وصفاتها. ولقد خص الحق الإنسان بالمعرفة تكريماً له وليجعله أكمل المجالى الإلهية. فغاية المعرفة لديه هى القرب من الله ، مستخدماً القلب والروح كأدوات للمعرفة الروحية والذوقية. فالقلب مهبط للملائكة ومحل سر الحق وموضع كنزه الربانى. ولكن الجديد هنا فى استخدامه للقلب هو أنه جعل لهذا القلب إمكانية واستعداداً فطرياً ذاتياً بقدر الحق وإرادته يسمح بتقلب الأسماء والصفات الإلهية عليه، ذلك لأن الفقر ذاتى لذلك القلب فيحتاج للكمال الذاتى للحق فيتقبل تجلى الأسماء عليه. وذلك فى نظر الباحث قد يتعارض مع الإبداع الذاتى للحق فقد يقبل هذا القلب التجلى الأسمائى أو لا يقبل وذلك يتعارض مع التنزيه المطلق الذى يقر به الكورانى.

أما عن الروح فقد كانت تحمل لدى الكورانى مفهومين ، الأول معرفى ، والآخر ميتافيزيقى. والأول هو ما قد سبق مناقشته فى موضعه من الدراسة والثانى يحتاج لجهود الباحثين أن يسلطوا أضواء البحث والدراسة عليه.

أما تصور الكورانى للعقل فقد كان موقفاً يتميز بالموضوعية التامة والتحليل العميق فى تناوله له. فالعقل لدى الكورانى لا مجال له فى البحث عن المعرفة الروحية لأنها فوق تصوره. ولأن مجاله هو المعرفة الإستدلالية فقط وليست المعرفة الروحية وعلى الرغم من ذلك لم يسرف الكورانى فى ذم العقل بل أعطاه قدراً من الحرية فى التعبير عن نفسه وعن قدراته ، فقد جعل العقل خادماً للشريعة وخادماً للطريق الروحى حينما منحه فرصة الإجتهاد الشرعى ، ولكن بحدود مجاله وقدراته بحيث لا يتعمق فيما هو فوق قدراته ومجاله. ولكنه نظر إلى القلب والروح بوصفهما الأدوات التى يصح لها الدخول والتبحر فى مجال المعرفة الروحية.

وبذلك فالكمال الروحى فى تصور الكورانى ليس بعيداً عن أى إنسان بشرط أن يتحقق بالمجاهدة بأنواعها والرياضات أيضاً ، حتى يتثنى له الترقى فى المقامات. ولقد كان من الطبيعى أن تتشابه كل الوسائل التى تنهض بتحقيق التطهير للقلب والروح ليتحقق السالك بالمعرفة عند الكورانى مع منهج الصوفية الذى يرتد إلى الذوق والعرفان كما سبق أن أوضحنا. ولقد تابع الكورانى المتصوفة أيضاً فى مفهومه لمقام التقوى واليقين والشكر والذكر ، ولكنه لم يتعمق فى مفهومه لمراتب اليقين. فقد تحدث عن علم اليقين بشكل تفصيلى ولكنه أغفل الحديث عن مرتبة عين اليقين ، ومرتبة حق اليقين ، على إعتبار أنه طالما الأصل ثابت بعلم اليقين ؛ فيمتنع الشك فى تحقق السالك بالمرتبتين الأخيرتين. ولذلك فقد أعتبر الكورانى الذكر أحد أهم اركان الشكر ، إلا أنه قد أضاف لأنواع الذكر نوعاً قام بتحليله والتعمق فيه بشكل موسع جداً ، ألا وهو الجهر بالذكر وقد قام الباحث بتحليله فى موضعه من البحث ، وقد إستطاع الكورانى بتحليله للذكر أن يصل إلى معرفة السالك بوجوب توحيد الوجود كله لله تعالى ، وفى هذه المرحلة من الترقى فى المقامات يتحقق السالك بلقب الولى أو (العارف بالله) كما أسماه الكورانى وهو من أشهده الحق تعالى تجليات أسمائه وصفاته على سطح الكون ليتحقق بالتوحيد الحقيقى لله.

فلقب العارف أو الولى الذى قام الكورانى بتحليله وافق فيه آراء المتصوفة ومنهم الحكيم الترمذى وإبن عربى الذى أشاد بهم وبأرائهم فى مسألة الولاية على وجه الخصوص كما أوضحنا فى موضعه من الدراسة.

والجدير بالذكر أن الكورانى قد اعتبر الكرامة الكبرى هى الإستقامة على حدود الله والإقتداء بسُنَّة رسوله (ρ) فى كل شئ ، فالتقليد للرسول (ρ) هو قمة الإستقامة. ذلك لأنه (ρ) قد جمع بين الكمالين البشرى والروحانى. حتى يتمكن السالكون فى كل زمان ومكان من أن يقلدوه فى كل شئ ، ذلك لأن جوهر الحياة الروحية فى تصور الكورانى هو المثل الدينى الأعلى للروح ، التى بترقيتها يرقى الجسد ، فهى التى تؤدى إلى تحقق السالك بالكشف والعرفان ، الذى يتحقق بفناء السالك عما سوى الله وبقائه بالله ، وبذلك يتحقق السالك بلقب (العارف بالله) وهو اللقب الذى يختص به السالك عندما يتحقق بالتوحيد. هذا التوحيد الذى لا سبيل لتحقيقه وفقاً لمذهب وحدة الوجود إلا من خلال الفناء ، الذى يتحقق فيه الإنسان بأنه ماثم موجود إلا الله فقط ، كما أنه لا يتحقق إلا بفناء العبد بكليته فى الله فيفنى بوجوده عن وجود ما سواه ، ويفنى بصفاته عن صفات ما سواه فيتحقق بالموت المعنوى عما سوى الله ، ويؤمن السالك حينها أن كل مظاهر الوجود هى

مجالى لصفات الله. ومن ثم يتحقق بالكمالين الوجودى والمعرفى. فلأجل هذه الغاية المعرفية العظمى – وهى تحقق السالك بوجوب توحيد الوجود كله لله – خلق الله الإنسان على صورته ، ومنها أستحق الإنسان أن يكون جامعاً للصفات والأسماء الإلهية ، ولكنه لا يتحقق هذا المعنى إلا من خلال الفناء عما سوى الله والبقاء بالله ووجوده وصفاته. ولأجل هذه الغاية أوجد الله العالم - على حد تعبير الكورانى - فلما شاء الحق أن يُعرف بصفاته لغيره ، اقتضى هذا الأمر وجود العالم ومن ثم الإنسان بصفة خاصة ليكون مجلاهُ فى هذا العالم بصفاته وأسمائه. ومن ثم كان الإنسان أكمل موجودات العالم من حيث صورته الظاهرة الجامعة لكل حقائق العالم ، ومن حيث الصورة الباطنة لأنه الحامل للصفات والأسماء الإلهية ، ولهذا كان وجود الإنسان ليعرف الله ويشهد ألوهيته سبحانه متجلية فى كل حقائق الوجود ، ومن ثم يتحقق بالكمال المعرفى إلى جانب الكمال الوجودى. إذاً فالغاية عند الكورانى من الفلسفة الروحية للوجود هى المعرفة خلقية وروحية ومعرفية لأنه يبحث عن الكمال الذى يرتقى بالإنسان إلى منابر العُلى.

وكما أوضحنا بالتفصيل أوجه التأثر التى تأثر فيها الكورانى بالسابقين عليه من فلاسفة وصوفية ومتكلمين. فبالبحث والدراسة تبين للباحث أن هناك أوجه تأثير من الكورانى على اللاحقين به فى مجال المعرفة. فقد تأثر عبد الغنى النابلسى بتفسير الكورانى وتحليله لآراء وأفكار السابقين عليه وعلى الأخص فى مسألة الولاية وعلاقتها بالمعرفة ، ولقد أثنى النابلسى على تحليلات وشروحات الكورانى فى هذا المجال.

وهكذا فقد تمسك الكورانى بالأصالة والإبداع فى نفس الوقت لفلسفته الروحية التى تناولت أهم الموضوعات التى شغلت الفكر الإنسانى قديماً وحديثاً . كما أثبت الباحث أن الكورانى يعد تلميداً متأخراً لأهم أقطاب التصوف ألا وهو (إبن عربى)، فقد حاول من خلال شروحاته أن يفسر ويحلل مذهبه فى وحدة الوجود ، على المستويين الوجودى والمعرفى ، حتى أنه حاول التأويل لآراء الأشعرى ليوفق بينها وبين ما فهمه من إبن عربى.

وأخيراً ، على الرغم من خلاف الباحث رغم جهده المتواضع مع بعض هذه الآراء التى ذهب إليها الكورانى ، إلا أنه يتمنى أن تكون هناك دراسات أخرى عن الكورانى تتناول آراءه فى الروح ، وكذلك آراءه الصوفية فى التوحيد ، وآراءه فى الفلسفة ، فضلاً عن أن مؤلفات الكورانى

بحاجة شديدة إلى من يهوى العمل بالتحقيق ، حتى يستفيد منها الباحثون ، بل إنها ستكون عوناً لهم فى فهم ما استشكل أمره عند الصوفية ، لاسيما إبن عربى.